أسماء
نشرة تستعرض سير وتراجم مضيئة متصلة بتاريخ الشيعة وأهل البيت عليهم السلام
٤

المحرر:
صادق جعفر

رضوى للانتاج الثقافي

محمد بن الحنفية
وابنه أبو هاشم رضي الله عنهما

محمد بن الحنفية حلقة الاتصال بين الشيعة في العراق والإمامة في الحجاز وقد استعان الإمام زين العابدين عليه السلام بعمه محمد بن الحنفية رضوان الله تعالى عليه في أداء دور قيادي مباشر تجاه الشيعة والموالين، وقد فوّض الإمام عليه السلام لعمّه في نص صريح ذلك أمام شيعته من العراق، وقد أثبتت وقائع الأحداث أهمية هذا التفويض وفعاليته.

ما هي الحاجة لمن ينوب عن الامام زين العابدين عليه السلام في الاتصال بشيعته في العراق؟

عيّن الامام السجاد عليه السلام من ينوب عنه في الاتصال بشيعة العراق بسبب التقية الشديدة التي كان يعيشها آنذاك، فقد كان الأمر يدور بين التقية من بني أمية من جهة ومن آل الزبير من جهة أخرى، أي بين التعرض للقتل والذبح كما فعل بنو أمية مع أبيه عليه السلام الشهيد بكربلاء، أو التعرض للحبس والحرق كما حاول ابن الزبير فعل ذلك مع بني هاشم خلال نفس الفترة.

لماذا تم تفويض محمد بن الحنفية؟

محمد بن الحنفية هو ابن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وأخو الإمامين الحسنين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، وله منزلة وتقدير كبير عند أبيه وعند أخويه صلوات الله عليهم أجمعين، وتشير العديد من الروايات إلى مدى حبهم وتقديرهم له وإظهار ذلك أمام عامة الناس، لذا فقد تهيّأ لعامة الناس وبشكل عفوي أنه بعد غياب الأئمة الثلاثة صلوات الله عليهم أنه هو المخوّل للقيام مقامهم أو تمثيلهم، فقد كان الإمام السجاد عليه السلام لم يزل شاباً آنئذٍ في مقتبل العمر ولم يكن يُعرف عنه الكثير بين عامة المسلمين.

من جهة أخرى فقد كان ابن الحنفية ذو علم وفقه وأدب ودين استقاه من أبيه عليه السلام مباشرة، لذا كان يعد من فقهاء وعلماء البيت العلوي الهاشمي، وهو الوحيد الذي تكرّم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمه وكنيته، فالمعروف بأن كل من يسمى محمداً يكره بأن يكنّى بأبي القاسم، فإمّا أن يرضى بالاسم أو بالكنية، إلا محمد بن الحنفية، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: إن ولد لك غلام فسمّه باسمي وكنّه بكنيتي، وهو لك رخصة دون الناس. (الغريفي)

وفي خبر آخر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بأنه (سيولد لك غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي). (الغريفي)

وكان ابن الحنفية رضوان الله عليه موالياً للأئمة عليهم السلام جميعاً ومعتقداً بهم وبولايتهم، وقد قيل له رحمة الله عليه: (الأربلي) أبوك يسمح بك في الحرب ويشحّ بالحسن والحسين!؟

فقال: هما عيناه وأنا يده، والإنسان يقي عينيه بيده.

وقال مرّة أخرى وقد قيل له ذلك: أنا ولده وهما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى ابن شهر آشوب، عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له، ولا تكلم محمد بن الحنفية بين يدي الحسين إعظاماً له.

كيف مارس ابن الحنفية رضوان الله تعالى عليه هذا الدور؟

روى ابن نما، قال: جاء رجل من أصحاب المختار من شبام عظيم الشرف وهو عبدالرحمن بن شريح، فلقي جماعة منهم سعد بن منقذ وسعر بن أبي سعر الحنفي والأسود الكندي وقدامة بن مالك الجشمي وقد اجتمعوا، فقالوا له: إن المختار يريد الخروج بنا للأخذ بالثأر وقد

بايعناه، ولا نعلم أرسله إلينا محمد بن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إليه نخبره بما قدم به علينا، فإن رخص لنا اتبعناه وإن نهانا تركناه.

فخرجوا وجاءوا إلى ابن الحنفية، فسألهم عن الناس فخبروه، وقالوا: لنا إليك حاجة.

قال: سر أم علانية؟

قلنا: بل سر.

قال: رويداً إذن.

ثم مكث قليلا وتنحّى ودعانا، فبدأ عبدالرحمن بن شريح بحمد الله والثناء، وقال: أما بعد، فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة وشرّفكم بالنبوة وعظّم حقّكم على هذه الأمة، وقد أُصبتم بحسين مصيبة عمّت المسلمين، وقد قدم المختار يزعم أنه جاء من قبلكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنّة نبيه والطلب بدماء أهل البيت فبايعناه على ذلك، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وإن نهيتنا اجتنبناه.

فلما سمع كلامه وكلام غيره، حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي، وقال: أما ما ذكرتم مما خصّنا الله، فإن الفضل لله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وأما مصيبتنا بالحسين عليه السلام فذلك في الذكر الحكيم، و أمّا ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطّلب بدمائنا فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي ولكم.

قال جعفر بن نما: فقد رويت عن والدي رحمة الله عليه، أنه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين.

فلما دخل ودخلوا عليه أخبر خبرهم الذي جاءوا لأجله، قال عليه السلام: يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت.

فخرجوا وقد سمعوا كلامه، وهم يقولون: أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية.

ونقول بأن كلمة الإمام عليه السلام لعمّه رضوان الله عليه (قد ولّيتك هذا الأمر) أمام شيعته العراقيين، هي تعبير واضح عن تفويضه له في تولي شئون الاتصالات وإدارة العلاقة مع شيعته في العراق فيما يرومون إليه من الثورة والانتقام من قتلتهم وأعدائهم.

قصص الخلاف بين ابن الحنفية والإمام السجاد عليه السلام ومقولة ادّعائه الإمامة:

ذكرنا فيما سبق بأن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن في بدء أمره معروفاً مشهوراً بالإمامة عند عامة الناس، لدرجة أنه عليه السلام كان يسافر مع الحجاج ويجعل نفسه مع خدم القافلة وهم منكرون له لا يعرفونه.

روى الصدوق: قال حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن علي، وكان مستتراً ستين سنة، قال حدثنا عمي، قال حدثنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: كان علي بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا!؟

قالوا: لا.

قال: هذا علي بن الحسين عليه السلام.

فوثبوا فقبّلوا يده ورجله، وقالوا: يا بن رسول الله! أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان!؟ أما كنا قد هلكنا آخر الدهر!؟ فما الذي يحملك على هذا!؟

فقال عليه السلام: إني كنت قد سافرت مرة مع قوم يعرفونني، فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحق، فاني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إليّ.

ولذلك حينما أراد ابن الحنفية إبراز مكانة وإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام، ابتدع فكرة الخلاف على الإمامة مع الإمام عليه السلام، وترك للإمام عليه السلام اختيار الطريقة التي سيثبت بها إمامته، فكانت فكرة الإمام عليه السلام الإعجازية والتي هي التحاكم إلى الحجر الأسود، وهي حادثة حصلت أمام أعين الناس، وقد استغل ابن الحنفية تلك الحادثة مرات عديدة لإرشاد

الناس عامتهم وخاصتهم لإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام.

وإظهار إمامة الإمام عليه السلام أمام عامة الناس لا تعني إلغاء التفويض لابن الحنفية في التعامل مع شيعة العراق، ولا تعني كذلك تجاوز التقية في تعامل الإمام عليه السلام مع الأمور الحساسة سياسياً وأمنياً.

التفويض السياسي: برز دور محمد بن الحنفية رضوان الله عليه في هذه المرحلة الحساسة من الناحية السياسية والأمنية والعسكرية، وقد مارس الدور القيادي الذي فوّضه له الإمام السجاد صلوات الله عليه بدقة وإتقان شديدين، وقد عرّف ابن الحنفية الشيعة بصورة واضحة بأنّه طرفاً مُفوّضاً وليس مُنشئاً للقرار السياسي، وأن القرار السياسي ومن خلفه الديني والشرعي إنما هما للإمام زين العابدين عليه الصلاة والسلام، وكما في النص التاريخي فإنه قال لوفد الشيعة القادم من الكوفة (قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين).

إن ابن الحنفية لم يتخط نوع التفويض السياسي الممنوح له إلى تفويض آخر كالتفويض التشريعي أو غيره، فلم يسعى لإصدار الفتاوي أو الآراء أو المذاهب التي تخرج عن رأي الأئمة من آل بيت رسول الله عليهم الصلاة والسلام، وأما ما قيل عن وجود دعوى المهدوية والكيسانية فلا رابط له بها لا من قريب ولا من بعيد، وأن الكيسانية إن وُجدت فقد نشأت بعيداً عن ابن الحنفية ولا علاقة له بها (ولا حتى بولده أبو هاشم الذي كان إمامياً، وأغلب القصص التي نسجت حول هذا الموضوع وبالخصوص حول أبو هاشم فيما بعد، كانت من مصادر تاريخية مخالفة للتشيّع ولأهل بيت الإمامة عليهم السلام).

قال الطبرسي: رُوي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: لما قُتل الحسين بن علي عليه السلام، أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلا به، ثم قال: يا ابن أخي، قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جعل الوصية والإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب عليه السلام ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين، وقد قُتل أبوك رضي الله عنه وصلّى عليه ولم يُوصِ، وأنا عمك وصنو أبيك، وأنا في سِنّي وقدمتي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصية والإمامة ولا تخالفني.

قال له علي بن الحسين عليه السلام: اتق الله ولا تدّع ما ليس لك بحق ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(هود ٤٦)، يا عم إن أبي صلوات الله عليه أوصى إليَّ قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إليَّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندي، فلا تعرض لهذا فإني أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإن الله تبارك وتعالى أبى إلّا أن يجعل الوصيّة والإمامة في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نحتكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال الباقر عليه السلام: وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمد: ابتدئ فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر، ثم سلْهُ.

فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله، ثم دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي بن الحسين عليه السلام: أما إنك يا عم لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك.

فقال له محمد: فادع أنت يا ابن أخي.

فدعا الله علي بن الحسين عليه السلام بما أراد، ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي.

فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي بن أبي طالب إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فانصرف محمد وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام.

وكما ذكرنا فقد استمر محمد بن الحنفية من نشر هذه الواقعة واستفاد منها في إرشاد الناس إلى إمامة الإمام عليه السلام.

روى الطبرسي: قال الصادق عليه السلام: كان أبو خالد يقول بإمامة محمد بن الحنفية، فقدم من كابل شاه إلى المدينة، فسمع محمداً يخاطب عليّ بن الحسين عليه السلام، فيقول: يا سيّدي.

فقال له: أتُخاطب ابن أخيك بما لا يخاطبك مثله!؟

فقال: إنّه حاكمني إلى الحجر الأسود، فصرت إليه فسمعت الحجر يقول: سلّم الأمر إلى ابن أخيك فإنّه أحقّ به منك.

وصار أبو خالد الكابلي إماميّاً.

وقال ابن نما: كان محمد بن الحنفية أكبر من زين العابدين سناً ويرى تقديمه عليه فرضاً ودِيناً، ولا يتحرك حركة إلا بما يهواه ولا ينطق إلا عن رضاه، ويتأمّر له تأمّر الرعية للوالي ويُفضّله تفضيل السيد على الخادم والموالي، وتقلّد محمد رَحِمَهُ اللهُ أخذ الثأر إراحة لخاطره الشريف من تحمل الأثقال والشد والترحال، ويدل على ذلك ما رويته عن أبي بجير عالم الأهواز، وكان يقول بإمامة ابن الحنفية، قال: حججت فلقيت إمامي، وكنت يوماً عنده فمر به غلام شاب فسلم عليه، فقام فتلقّاهُ وقبّل ما بين عينيه وخاطبه بالسيادة، ومضى الغلام وعاد محمد إلى مكانه، فقلت له: عند الله أحتسب عناي!

فقال: وكيف ذاك!؟

قلت: لأنّا نعتقد أنك الإمام المفترض الطاعة، تقوم تتلقّى هذا الغلام وتقول له يا سيدي!؟

فقال: نعم هو والله إمامي.

فقلت: ومن هذا!؟

قال: علي ابن أخي الحسين. إعلم أني نازعته الإمامة ونازعني، فقال لي: أترضى بالحجر الأسود حكماً بيني وبينك؟

فقلت: وكيف نحتكم إلى حجرٍ جماد!؟

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن إماماً لا يكلمه الجماد فليس بإمام.

فاستحييت من ذلك، فقلت: بيني وبينك الحجر الأسود.

فقصدنا الحجر، وصلّى وصلّيتُ، وتقدم إليه وقال: أسألك بالذي أودعك مواثيق العباد لتشهد لهم بالموافاة إلا أخبرتنا من الإمام منّا؟

فنطق والله الحجر، وقال: يا محمد، سلّم الأمر إلى ابن أخيك، فهو أحق به منك وهو إمامك.

وتحلحل حتى ظننته يسقط، فأذعنت بإمامته ودنت له بفرض طاعته.

قال أبو بجير: فانصرفت من عنده وقد دنت بإمامة علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتركت القول بالكيسانية.

ويبدو من بعض النصوص التاريخية أن قصة الحجر قد تكررت أكثر من مرة وأنها لم تكن مع الحجر الأسود فقط، ولعل تكراراها كان لزاماً بسبب تغيّر الأوقات والشهود والأماكن.

روى الطبري، قال: حدثنا عبدالله بن محمد، عن عمارة بن زيد، عن أبي إسحاق إبراهيم بن غندر، قال: جاء مال من خراسان إلى مكة، فقال محمد بن الحنفية: هذا المال لي وأنا أحق به.

فقال له علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: بيني وبينك الصخرة.

فأتيا الصخرة، فكلم محمد ابن الحنفية الصخرة فلم تنطق، فكلّمها علي بن الحسين

حدود التفويض: إن ابن الحنفية لم يتخط حدود التفويض الممنوح له إلى محاولة ادعاء الإمامة، كما يظن البعض، وقد أوردنا علّة ظن بعض الناس بذلك، كما أوردنا حادثة الحجر الأسود وغيرها، التي أظهر فيها ابن الحنفية بنفسه عدم صحة القول بإمامته، وكونه أول من ينفي ذلك عن نفسه.

إن ابن الحنفية لم يتخط حجم التفويض الممنوح له، فالتزم بتوجيه الحركة الاحتجاجية في العراق فقط ولم يقبل بنقلها إلى مكة المكرمة أو غيرها من المناطق، فحين جاء جند المختار ومبعوثيه إلى مكة لتحريره والهاشميون من حبس ابن الزبير طلبوا منه الإذن للتعرض لابن الزبير (فقالوا: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير)، إلا أنه رفض ذلك وقال (إني لا استحل القتال في الحرم).

فنطقت، وقالت: المال لك، المال لك، وأنت الوصي وابن الوصي، والإمام وابن الإمام.

فبكى محمد، وقال: يا بن أخي، لقد ظلمتك إذ غصبتك حقك.

وأما مقولة أن ابن الحنفية كان يُسمّى بالمهدي، فإن ذلك لم يُقصد منه الإمام المهدي الذي يقوم بالقسط والعدل في آخر الزمان، وإنما قُصد منه من يهدي إلى الرشد والخير.

روى ابن سعد، قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: كَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ: سَلامٌ عَلَيْكَ يَا مَهْدِيٌّ.

فَقَالَ: أَجَلْ أَنَا مَهْدِيٌّ أُهْدِي إِلَى الرُّشْدِ وَالْخَيْرِ، اسْمِي اسْمُ نَبِيِّ اللهِ وَكُنْيَتِي كُنْيَةُ نَبِيِّ اللهِ،

فَإِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: سَلامٌ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ.

وتشير هذه الرواية إلى أن ابن الحنفية رضوان الله عليه كان يحبّذ أن تُلقى عليه التحية باسمه وبكنيته، لا بلقب المهدي الذي اتخذه بعض الناس له.

عبدالله بن محمد بن الحنفية (أبو هاشم) يخلف أباه في قيادة الحركة الشيعية

هو أبو هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفيّة، الابن الأكبر لأبيه رضوان الله عليهما، ويبدو من التواريخ (القليلة الواردة بحقّه) أنه كان عالماً جليلاً وأنه كان خليفة أبيه والمفوّض بعده في إدارة أمور الشيعة وأنشطتهم وخلاياهم الخاصة وغير المعلنة حتى سمّاه بعض المؤرخون (صاحب الشيعة)، كما كان قبله أبيه رحمه الله المفوّض من قبل الإمام زين العابدين عليه الصلاة والسلام في هذا الشأن، وما أورده المؤرخون بشأنه يبيّن جلالة شأنه عند الشيعة بصورة عامة، ولم يكن الشيعة ليجلّوا أحداً أو يولّوه أمرهم وهو خلاف ذلك، وفي رواية البلاذري: (وَكَانَ مُحَمَّد ابن الحنفية حين حضرته الوفاة أوصى إِلَيْهِ وقلّده أمر الشيعة والقيام بشأنهم).

وكالعادة بسبب كونه شيعياً إمامياً مخلصاً لآل البيت عليهم السلام تعرّضت سيرته للتشويه، وسنورد مواضع ذلك بعد قليل، ويلاحظ أن أغلب ما ورد عنه هو من مصادر العامة، ومصادر الخاصة بشأنه قليلة جداً، ووقد أورد القاضي المغربي في شأنه رواية تشير إلى خلاف بينه وبين الإمام الباقر عليه السلام في موضوع الإمامة، ومن ثم يعقبها براوية أيضاً تشير إلى خلاف بين زيد عليه السلام وبين الإمام الباقر صلوات الله عليه في شأن الإمامة، وهذا قد يشير إلى أن هذه المواقف إمّا صدرت من قبيل التقيّة والإبهام على مناوئيهم، وإما أن الروايات غير صحيحة، فزيد عليه السلام أيضاً كان إمامياً خالصاً مخلصاً ولم يكن ليخرج عن أمر أبيه أو أخيه أو ابن أخيه صلوات الله عليهم أجمعين، وهكذا كان الأمر مع محمد ابن الحنفية، حيث قيل الكثير في شأن خلافه مع الإمام السجّاد عليه السلام في موضوع الإمامة، وتبيّن أن الأمر في حقيقته على عكس ذلك، وقد عالجنا هذا اللبس بما فيه الكفاية.

وتشير بعض المصادر (ابن عساكر والبلاذري) إلى أن أبو هاشم وقع في حبس الوليد بن عبدالملك، فمضى الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الشام وتوسّط لدى الوليد في أطلاق سراحه فأطلقه، وإذا كانت هذه المصادر صحيحة، فلنا أن نتساءل عن سبب تجشّم الإمام عليه السلام عناء السفر إلى الشام والدخول على سلاطين بني أمية لإطلاق سراح شخص منحرف العقيدة وذو تأثير سلبي على الإمامة وعلى شيعة أهل البيت عليهم السلام!؟ فتلك الروايات التي تسيء إلى سيرته بصورة عامة غير متماسكة ولا يدعم بعضها بعضاً.

ولعل أخطر التحريفات في سيرته ما ينقل عن أنه حين أتته الوفاة بسبب السم الذي دسّه إليه سليمان بن عبدالملك أوصى لمحمد بن علي بن عبدالله ابن عباس، وهو أبو مؤسسي الدولة العباسية (السفّاح والمنصور)، وهذه الرواية أيضاً جميع مصادرها من ذوي الصلة بالعباسيين وينقلونها عنهم في أوائل حكمهم، ويبدو أن العباسيون أرادوا بذلك إضفاء الشرعية على حكمهم بالقول أن أبو هاشم بن محمد ابن الحنفيّة هو الذي أعطاهم الشرعية حين سلّمهم ما يسمّى بـ (صحيفة الدولة) أي الصحيفة التي فيها أسماء الدول والملوك ومنهم بني العباس، وهي التي أخذها أبو هاشم عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، ولكن المشكلة أن لا يوجد عين ولا أثر ولا وصف دقيق لهذه الصحيفة، ومصدر روايتها هو عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس.

وكل هذه الرواية تعتمد على مسار الأحداث التي جرت يوم وفاة أبو هاشم، فإنه حين أحس باقتراب المنيّة أمر بنقله إلى الحميمة حيث كان يقيم محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، وأوصى

إليه، وهذا أمر طبيعي لأنه أقرب الناس إليه من حيث النسب في ذلك المكان وفي ذلك الظرف فأوصى إليه، ولكن لا أحد يعرف على وجه التحديد ما الذي أوصى به إليه، وكل ما قيل بشأن تفويض أمر الحركة الشيعية إليه وتسليمه ما يسمى بصحيفة الدولة هو ضرب من التأويل والتخمين وصدر عن مؤرخي العامة ومخالفي أهل البيت عليهم السلام، بل قيلت أشياء أخرى مثل أنه أوصى إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو غلام صغير، وفي رواية ثالثة أن أبو هاشم أوصى إلى أخيه علي، وقيل غير ذلك، وكما ترى فإن هذه الروايات لا يقوم عليها دليل منطقي، فكيف لقائد حركة كبيرة من رجالات الشيعة وشيوخهم في غاية السريّة والدقة والتنظيم أن يفوّض عند موته أمورهم إلى شخص بعيد سياسياً عنه ولا يمت للحركة بصلة (كوالد العباسيين) أو إلى غلام صغير (فهل كان الشيعة من السخف إلى هذه الدرجة بحيث لا يوجد رجل بينهم يمكنه أن يتحمل المسئولية) أو ربما إلى أخيه فقط لأنه أخيه!؟

وهناك رواية أخرى أكثر تفصيلاً يرويها اليعقوبي، وهي مرسلة بطبيعة الحال، ويذكر فيها أن أبو هاشم نصح محمد بن علي العباسي بأن يخرج في (سنة الحمار) وهو مصطلح غير وارد في خطاب الأئمة عليهم السلام ولا في خطاب أتباعهم من الشيعة، بحيث أن محمد بن علي استفسر منه عن هذا المصطلح، كما أنه قال له (أما أهل العراق فهم شيعتك)! والغريب أن التواريخ لا تذكر في ذلك الوقت أية دعوة لبني العباس ولا بوجود شيعة لهم في العراق أو أي مكان آخر، وإنما العراق مليء بشيعة علي وأولاده من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، وإشكالية ثالثة في الرواية هي أن أبو هاشم قال له (وهؤلاء الشيعة استوص بهم خيراً وهؤلاء دعاتك وأنصارك)! فكيف أصبح شيعة علي والحسن والحسين صلوات الله عليهم وشيعة السجاد والباقر عليهم السلام وهما الإمامان اللذان عاصرهما أبو هاشم وبصورة مفاجئة دعاة وأنصار لمحمد بن علي العباسي وهو شخصية خاملة جداً نسبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام ولم يكن صاحب دعوة ولا صاحب راية في ذلك الوقت!؟ ومنذ متى كانت الشيعة بحاجة إلى رعايته وهو في شبه إقامة جبرية في الحميمية في منطقة نائية خارج الشام في الوقت إن الذين كانوا يرعون الشيعة هم أئمتهم بكل ما لديهم من قدرات وإمكانيات وحسن رعاية صلوات الله عليهم!؟ وهناك إشكاليات أخرى عديدة يمكن لمن يريد التوسع فيها مراجعة تلك النصوص التاريخية من مصادرها.

والذي أراه بأن أبو هاشم أوصى لابن العباس في أموره الشخصية والعائلية ربما، وأما الأمور الحركية والسياسية فلم يكن في حاجة لتفويض أحد بها لأنها منظمة ومتسقة بين الرجال وبين البلدان وبين مراكز الإدارة القيادة، كما أن رواية البلاذري مثلاً تشير بوضوح إلى وجود رؤوس من الشيعة مع أبو هاشم في سفرته تلك ويذكر أسمائهم، ولم يكن شيعة أهل البيت عليهم السلام بهذه السطحية والسذاجة ليكلوا رقابهم ودينهم إلى من هب ودب وينساقوا وراء أي شخص بغض النظر عن صلاح عقيدته أو فسادها وبغض النظر عن اتّباعه أو مخالفته لأئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، كما لم يكن من المعقول أن يدخل أبو هاشم على سليمان بن عبدالملك وهو أعدى أعداءه وهو يحمل معه صحيفة الأسرار كلها (صحيفة الدولة كما زعموا)،

ما هو الأثر الاستراتيجي لقيادة محمد بن الحنفية؟ أزال تفويض ابن الحنفية عبئاً مباشراً كبيراً عن الإمام زين العابدين عليه السلام في عملية قيادة الشيعة وثوراتهم في العراق، وجعله يتفرغ لأدوار ولمهمات إحيائية واستراتيجية أخرى لا يمكن لغيره القيام بها.

وقد ساعد ابن الحنفية الإمام السجّاد عليه السلام في ممارسة التقية المطلوبة آنذاك، فالإمام من جهة لم يبد لأعين السلطات بأنه على صلة بتلك الأحداث الجارية، في العراق (أي ثورة التوابين وثورة المختار)، ومن جهة ثانية تمت قيادة تلك التطورات السياسية والعسكرية وتوجيهها بصورة متقنة ومؤثرة.

وكون محمد ابن الحنفية من قلب البيت العلوي الهاشمي، فقد أبعد ذلك التفويض أعين السلطات عن الإمام السجّاد عليه السلام دون أن يقطع صلة الوصل بين ما يقع من أحداث وبين البيت العلوي الهاشمي بسبب موقع ابن الحنفية فيه، وبالتالي حافظ على اطمئنان الشيعة بأن ما يجري إنما هو تحت عين الإمام عليه السلام بشكل أو بآخر.

والحال أن الوليد سجنه مرة سابقة وكان يمكن لأخيه سليمان أن يكرر نفس الفعل معه ويعثر على تلك الصحيفة لديه بكل سهولة ويسر!

وقد توفي أبو هاشم عام ٩٨هـ أي بعد شهادة الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام بثلاث أو أربع سنوات فقط، وقبل قيام الدولة العباسية بأربعة وثلاثين سنة، ولا أظن بأن وفاة أبو هاشم رحمه الله على علاقة بحدث وقع بعد أربعة وثلاثون سنة من شهادته، كما إن حركة الشيعة بصورة عامة كانت مشغولة بسياقات وأهداف وغايات عمل الأئمة من آل البيت صلوات الله عليهم ولا علاقة لها بما يريده أو يفعله بنو العباس.

قال اليافعي: سنة ثمان وتسعين وفيها توفي أبو هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفية الهاشمي رحمة الله عليهما.

وما يدل على جلالة قدره عند الشيعة هو وشاية المخالفين له بأنه إمام الشيعة وأميرهم (كما قالوا قبل ذلك عن أبيه رحمه الله)، وكان ذلك سبب اعتقاله من قبل الوليد بن عبدالملك.

قال البلاذري: حَدَّثَنِي عَبْدُالله بْنُ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ كناسة، عَن قَيْس بْن الربيعَ: أن الشيعة كانت تزعم أن محمد ابن الحنفية هُوَ الإمام بعد عَلِيّ بْن أَبِي طالب، فلما توفي قَالُوا هُوَ أَبُو هاشم ابنه، فوشى بأبي هاشم رجل إِلَى الوليد ابن عَبْدِالملك بْن مروان، وَقَالَ: إن لَهُ بالعراق شيعة وإنه يتسمّى أمير الْمُؤْمِنِينَ!

فقبل الوليد ذَلِكَ، وبعث إِلَى عَبْدالله بْن مُحَمَّد، فقدم بِهِ عَلَيْهِ، فحبس فِي سجن دمشق.

وقال البلاذري: حَدَّثَنِي حَفْص بْن عُمَر، عَن الْهَيْثَم بْن عدي، عَن معن بْن يَزِيد الْهَمْدَانِيّ، قَالَ: لما استخلف سُلَيْمَان بْن عَبْدِالملك، أتاه أَبُو هاشم عَبْدالله بن محمد ابن الحنفية وافدًا فِي عدّة من الشيعة، منهم أَبُو ميسرة، وأبو عكرمة مولى قريش، وحيّان خال إبراهيم بْن سلمة وغيرهم، وَكَانَ مُحَمَّد ابن الحنفية حين حضرته الوفاة أوصى إِلَيْهِ وقلّده أمر الشيعة والقيام بشأنهم، فلما دخل عَلَيْهِ استبرع بيانه وعقله، وَقَالَ: مَا أظن هَذَا إِلا الَّذِي يُحَدِّثُ عَنْهُ! (أي أنه صدّق ما وصله من كلام سابق عنه من أنه رأس الشيعة).

فأجازه وقضى حوائجه ثُمَّ شخص، فبعث سُلَيْمَان مَعَهُ دليلاً وأمره أن يخدمه، فحاد بِهِ عَن الطريق وقد أعدّ له أعرابياً فِي خباء ومعه غنم لَهُ ومعه سمّ، فوافاه وقد كاد العطش أن يأتي عَلَيْهِ، فاستسقى من الأعرابي فسقاه لبناً قد جعل فِيهِ ذَلِكَ السم، فلما شربه مرض فلما اشتدّ به المرض مال إِلَى مُحَمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْدِالله بْن عَبَّاس وَهُوَ بالحميمة، فمات عنده.

وقال الصفدي: عبدالله بن مُحَمَّد ابْن الْحَنَفِيَّة أَبُو هَاشم الْعلوِي الْمدنِي، روى عَن أَبِيه وَعَن صهرٍ لَهُ صَحَابِيّ من الْأَنْصَار، كَانَ صَاحب الشِّيعَة.

وقال ابن عساكر: كان أبو هاشم صاحب الشيعة.

وعنه: عبدالله بن محمد ابن الحنيفة وهو ابن علي بن أبي طالب ويُكنّى أبا هاشم، وأمه أم ولد، وكان أبو هاشم صاحب علم ورواية وكان ثقة جليل الحديث، وكانت الشيعة يلقونه ويبجّلونه.

وقال كاشف الغطاء: أوَّل من تكلَّم في علم الكلام أبو هاشم بن محمَّد بن الحنفية، وألَّف فيه كتباً جليلة.

وقال الديلمي: أمّا علم الكلام فأصله أبو هاشم بن محمد بن الحنفية، الذي استفاده منه (أي من أمير المؤمنين) عليه السلام.

وقد نسب البعض لأبو هاشم تأسيس مذهب المعتزلة كونه كان معلماً وأستاذاً في الكلام لواصل بن عطاء، والحال أن التلميذ قد يبتعد عن معلمه يوماً ما ويستقل بأفكاره ومذاهبه، وقد كان الإمام الصادق عليه السلام معلّماً لبعض مؤسسي المذاهب كابن حنيفة، فهل يقال بأن الإمام عليه السلام هو مؤسس المذهب الحنفي!؟

خاتمة:

والخلاصة هي أن محمد بن الحنفية وابنه أبوهاشم كانا ممن ساند بصورة استراتيجية المشروع الإحيائي للامام السجّاد عليه السلام، وأنهما كانا في صلب إدارة الحركة الشيعية في ذلك الوقت وبأمر مباشر من الامام عليه السلام.

المصادر:

١-الغريفي، السيد محمود. **محمد ابن الحنفية**، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ)، حملة ثامن الحجج عليه السلام، الكويت.
٢-الإربلي، أبي الحسن علي بن عيسى أبي الفتح. **كشف الغمة في معرفة الأئمة** عليهم السلام، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، (تحقيق: آل كوثر، علي)، دار التعارف، بيروت
٣-ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري. **الطبقات الكبرى**، الطبعة الثانية، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، (تحقيق: منصور، د. زياد محمد)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٤-ابن شهرآشوب، أبي جعفر محمد بن علي. **مناقب آل أبي طالب**، الطبعة الأولى، (٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ)، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٥-ابن طباطبا، النسابة أبي إسماعيل إبراهيم بن ناصر. **منتقلة الطالبيين**، مخطوط، (تحقيق: الخرسان، السيد محمد مهدي)، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة، النجف الأشرف.
٦-ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي. **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٧-ابن نما الحلي، الشيخ جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله. **ذوب النضار في شرح الثار**، الطبعة الثانية، (١٤٣٨هـ)، (تحقيق: كريم، فارس حسون)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
٨-البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. **جمل من أنساب الأشراف**، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، (تحقيق: زكار، د. سهيل؛ زركلي، د. رياض)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٩-الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه. **عيون أخبار الرضا** عليه السلام، الطبعة الثانية، (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٠- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله. **الوافي بالوفيّات**، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، (تحقيق: الأرناؤوط، أحمد؛ مصطفى، تركي)، دار إحياء التراث، بيروت.
١١- الطبرسي، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن. **إعلام الورى بأعلام الهدى**، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة.
١٢- الطبرسي، الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب. **الاحتجاج**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم. **دلائل الإمامة**، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ)، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية)، مؤسسة البعثة، طهران.
١٤- القاضي المغربي، أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي. **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**، الطبعة الثانية، (١٤٣١هـ)، (تحقيق: الجلالي، السيد محمد الحسيني)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
١٥- كاشف الغطاء، محمد الحسين. **أصل الشيعة وأصولها**، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ)، (تحقيق: آل جعفر، علاء)، مؤسسة الإمام علي عليه السلام، قم المقدسة.
١٦- المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان. **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م/ ١٤١٦هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.
١٧- اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، الطبعة الأولى، (١٤٠١٧هـ/ ١٩٩٧م)، (تعليق: المنصور، خليل)، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر. **تاريخ اليعقوبي**، الطبعة الأولى، (١٩٩٩م/ ١٤١٩هـ)، (تحقيق: المنصور، خليل)، دار الكتب العلمية، بيروت.

أسماء

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
asmaaletterhead@gmail.com

توضيح:
محتوى **أسماء** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي